المشرق

الطوباوي جبرى ميكائيل

الشهيد الحبشي اللعازري (١٧٩١—١٨٥٥)

بقلم حضرة الاب يوسف علوان اللعازري

مقدمة

اليوم الثالث من شهر تشرين الاول من السنة الماضية ١٩٢٦ كان يوماً مشهوداً في عاصمة الكثلكة رومية المدينة الابدية ، وعيداً باهراً فخماً جمع حول نائب المسيح على الارض وخليفة القديس بطرس رأس الرسل ، قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، عدداً ليس باليسير من الكرادلة ورؤساء الاساقفة والاساقفة وجموعاً من الرهبان والراهبات والمرسلين ولاسيما من اللعازريين وراهبات المحبة مع حضرة الاب فرنسيس ڤردياه رئيسهم العام الاكبر الذي جاء مع بنيه وبناته ليكونوا في مقدّمة المحتفلين . ولمّا حانت ساعة الاحتفال والتأم الجمع المذكور ضاقت بهم كنيسة القديس بطرس البطريركيّة الكبرى ، وكانت مزدانة يومئذٍ بالوف والوف من الانوار الكهربائية ، لابسة ابهى حلّة من الزينة اذ جُلّلت جدرانها بطنافس الحرير الاحمر تزينها سعوف النخل الخضراء وتُنيرها اشعّة الانوار الباهرة كانها بلسان حالها تشير الى دماء سُفكت بعد جهادٍ طويل أليم وانتهت بانتصار عظيم

امّا الداعي لهذه الحفلة الحافلة النادرة المثال وموضوع هذا العيد البهيج فهو بموجب حكم الكنيسة الجامعة عمود الحقّ واساسهِ ، إعلان فضل احد ابنائها سليل جمعية القديس منصور دي پول الانبا غبرى ميكائيل الذي جاهد جهاد الابطال

واروى بدمائه ارض وطنه بلاد الحبشة الساكنة في ديجور الضلال ، بعد ان جحد اضاليل آبائه على يد معلمه وقائده المكرَّم السيد يوستينوس دي ياكوبيس اللعازري رسول بلاد الحبشة واوّل نائب رسولي عليها ، فقاسى من اجل ايمانه من الاضطهادات اشدّها ، واحتمل من الآلام احدّها ، مدّة ١٣ شهرًا بثبات كالصخرة الصمّاء لم يتزعزع ، وعزم كالحديد لم يلتوِ الى ان فاض بروحه الطاهرة بين الاعذبة المرّة حبًّا بالسيّد المسيح فنال اكليل الشهادة

هذا هو البطل الذي نريد الآن سَرْدَ حياته العجيبة اولًا افتخارًا به واعجابًا ليس فقط لانهُ اخونا في الجمعية اللعازريّة المؤسسة من القديس منصور دي بول بل لانهُ ايضًا احد ابناء شرقنا العزيز . وثانيًا تذكرةً لاخواننا المنفصلين عنّا في الايمان ولاسيما الحبشيين الاقباط بان لا قيام حقيقي ولا حياة للكنائس الّا باتحادها مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة الراكزة على الصخرة البطرسيّة الابديّة القرار ، حسب قول السيد المسيح لهُ المجد : انا الكرمة وانتم الاغصان . من يثبت فيَّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير (يو ١٥ : ٥) . فنحن نسأل الله وهو السميع المجيب باسم شهيدنا الباسل ان يزيل عن اعين اخوته المنفصلين برقع الجهل والضلال لينظروا مثلهُ نور الحق ، ويرجعوا الى حضن امهم الكنيسة الحقيقية ، فتصير رعيّة واحدة وراعٍ واحد

﴿ مولدهُ وصباؤهُ ﴾

ولد الطرباوي في ديبو ، وهي قرية واقعة بالقرب من مدينة اسمها مرتولي مريم (اي خيمة مريم) ، من اقليم غوجام ، سنة ١٧٩١ ودعي باسم غبرى ميكائيل (اي عبد ميكائيل) ومنذ صباه ظهرت عليهِ علامات التقى والتديّن . فكان يحب الصلاة والسكينة مطيعًا لوالديه وميّالًا الى الدرس والمطالعة

ولمّا شبَّ تلقّن مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة المزامير الداودية والتسابيح البيعيّة حسب عوائد تلك البلاد ففاز في كل ذلك فوزًا باهرًا فاتخذهُ مدرّسًا ومعلّمًا ومرشدًا للاولاد . وكان في وقت الفراغ يذهب لرعاية القطيع الوالدي . الّا انهُ لم يلبث ان طرأ عليهِ حادث افقدهُ احدى عينيه وكان والداهُ قد فكّرا في ان يكرّساه

للرب في الحالة الاكليريكية . فجاء فكرها طبق مرامه لانهُ كان قد عشق هذه الطريقة منذ حداثته وطالما تاق اليها الّا انهُ لم يكن يجسر ان يكاشف والدهُ برغبته . ومع ذلك بقي مدةً على هذه الحالة يعلّم الاولاد نبرع في هذا الفنّ حتى صار موضوع فخر لآله ولابناء وطنه

﴿ تركه للعالم ودخوله الرهبانية ﴾

ولما حان الوقت لاتخاذ الطريقة النهائيّة لحياته عزم على ترك العالم وخزعبلاته واشتاق العيشة الرهبانيّة لممارسة الفضائل الانجيلية واكتساب العلوم الدينيّة . فقصد دير مرتولي مريم وطلب الانضمام الى سلك رهبانه وكان عمرهُ اذ ذاك ١٩ سنة . فقُبل في عداد المبتدئين وبقي على هذه الحال ست سنين تمرّن في اثنائها على اساليب العيشة الرهبانية وتلقن العلوم الكنسيّة التي كانت نفسهُ الكبيرة عطشى اليها . ولمّا انتهى زمن اختباره الرهباني البسهُ رئيس الدير القبعة البيضاء شارة الرهبان باحتفال عظيم

﴿ في اختياره العيشة النسكيّة ﴾

ولمّا ابرز غبرى ميكائيل نذوره الرهبانيّة انفتح امامه طريقتان : امّا المناصب القضائيّة العالية في محاكم مملكة الحبشة الدينيّة والمدنيّة ، وامّا العيشة النسكيّة . ففضل هذه على تلك لكرهه للعالم وحبه الابتعاد عن اموره ، ولشغفه بحقيقة الحياة الروحيّة وتوقانه الى ممارسة الفضائل وامتلاك العلم الصحيح في الدين الحقّ . لكنه لم يكن يجد في الدير ما كانت تتوق نفسه اليه للحصول على متمنّاه . فانهُ باطلاً كان يبحث ، وباطلاً كان يطلب الى الرهبان اخوته بان يشرحوا لهُ عن حقيقة العيشة النسكية وعن ضروب رياضاتها فلم يستطيعوا ان يشفوا غليله اذ انهم لم يكونوا يعرفوا من العيشة النسكية الّا اسمها . فاتفقوا على ان يرسلوه الى اديار البلاد السحيقة لعلّه يجد الكتب اللازمة للتدرّب على العيشة النسكية الحقة ثمّ يأتي ليعلّمهم ويدرّبهم في معيشتهم

فاخذ يطوف البلاد ويزور الاديرة والمحابس مفتشاً على كتاب الكمال الرهباني .

ولما بحث في كل أصقاع غوجام بدون جدوى عزم على السفر الى مدينة غوندار عاصمة المملكة حيث كانت المدارس والكليات زاهرة. فنزل على إمام الرهبان الذي اكرم وفادته فصادف هناك عدداً من الاكليريكيين العلماء فسا كنهم واخذ يدرس عليهم حتى فاقهم فصار مرجعاً يُرجع اليه ومقصداً يقصده كبار عصره. فدرى به الملك يوهانس الرابع فاتخذه له معلماً ومدرساً. لما غبرى ميكائيل فكان مع كل اشغاله ومطالعاته لم يفتأ باحثاً عن كتاب يرشدهُ الى الكمال الرهباني، طالباً الحقائق الراهنة التي تشبع العقل وتزيل اوهامه، وتُسكن القلب وتريح بلباله الى ان اسعده الحظ فعثر عليه وعلى كتب اخرى نفيسة. وعندئذٍ كرَّ راجعاً الى ديره في مرتولي مريم تاركاً العاصمة واصحابه وتلاميذه ولاسيما لانهُ رأى ان لا فائدة لهُ بعد من مكثهِ في العاصمة وذلك سنة ١٨٣٨ وكان قد ناهز الخمسين سنة من عمره. وكان ذا قامة معتدلة اسمر البشرة، صبيحاً بشوشاً لطيف المعاشرة. واما عقله فكان ثاقباً وحكمه صائباً. وكان يكره المداهنة والخبث والكذب

﴿ بحثه عن الحقيقة ﴾

كان غبرى ميكائيل كلما تعمَّق في الدرس والمطالعة ازداد شوقاً الى معرفة الحقيقة. فانه بعد ان طالع الكتب وباحث العلمين وسائل المتنورين لم يزل عقله متقلقلاً ونفسه متخطربة، يرى التناقض في تعاليم اجداده ومعتقدات بني جلدته دون ان يجد مَن يبدد اوهامهُ ويزيل شكوكه المتزايدة. لذلك عزم على البحث عن الكنيسة الحقيقية التي لا بدَّ من ان يجد فيها الضالَّة المنشودة. فقصد السفر الى اورشليم المدينة المقدسة اولاً لنوال مبتغاه ثمَّ ثانياً للتبرك بالاراضي التي قدَّسها السيد لهُ المجد بذاته واعماله. فتأبط عصا الترحال وشدَّ مسافراً زائراً في طريقه الاديرة التي كان يمرُّ بها وطالباً الى كل راهب عالم كان يصادفهُ ان يزيل شكوكه ويؤيد ايمانه فلم ينل الَّا الإهانات والاضطهادات والفشل

قطع الطوباوي غبرى ميكائيل اقليم غوجام ووصل الى اقليم التِّغره فزار دير دبرى بيزان المشرف على ساحل مدينة مصوَّع وهناك اقنعهُ الرهبان بعدم استئناف سفره لاسباب نجهلها. فعدل اذ ذاك عن ركوب البحر الى الاراضي المقدسة منتظراً

فرصة مناسبة لتوال الارب الّا انهُ ذهب الى دير غرنده غرنده حيث أقام نحو سنة كان في اثنائها يعلم الرهبان ويلقي عليهم الدروس اللازمة لمعيشتهم . وبعد ذلك نزل الى مصوَّع وانتظر هناك نحو خمسين يوماً ثم صعد الى الجبل الى مدينة أدوَا

﴿ التقاؤه بالمكرَّم دي ياكوبيس اللعازري ﴾

هناك في مدينة أدوا كان الله ينتظره بواسطة احد المرسلين اللعازريين كما كان ينتظر شاولَ بواسطة حنانيًا في دمشق الشام . وذلك انهُ حدث في تلك الايام ان مات اسقف الحبشة فارتأى رؤساء الاقاليم ان يرسلوا وفدًا الى القاهرة ليأتوا بخلف لهُ . الّا ان السفر كان مخطرًا في تلك الايام تكتنفه صعوبات شتى . فأبى الوفد الذهاب الى مصر ما لم يكن معهم احد الاوروبيين ليتقدمهم ويحفظهم ويدافع عنهم عند الحاجة . فسأل الملك «اوبياه» الابَ دي ياكوبيس اللعازري الذي كان مقيماً منذ سنتين في أدوا ان يرأس الوفد . فرفض اولًا لتواضعهِ ثم لانهُ لم يُرِد ان يكون هو المرسل الكاثوليكي قائدًا لبعثة اورثذكسية في مثل هذه الظروف . اما الملك فلم يرضَ بإبائهِ بل عاد ملحًا عليهِ كثيرًا وكان من اصدقائه . فبعد ان صلّى المرسل القديس اليهِ تعالى رأى ان في هذا ارادةَ الله لخير النفوس ولمستقبل رسالتهِ في البلاد . فرضي ولكن بشرط ان يقود الوفدَ الى رومية ثم الى اورشليم بعد اتمام الغاية المقصودة من البعثة في القاهرة وان يعطيَهُ الملك رسالتين الواحدة للبطريرك القبطي توصيةً بهِ لهُ بصفة كونه نائباً رسوليًا للرسالة الكاثوليكية في بلاد الحبشة وطلب منهُ ان ينقض الامر الذي كان اصدرهُ بعدم تشييد كنائس ومدارس كاثوليكية فيها ، وان يَعِد بمصالحة الكرسي الرسولي وازالة الشقاق . والثانية عريضة للاب الاقدس ممضاة من اعضاء الوفد يعرضون فيها لقداستهِ انهم موفدون من قبل ملكهم ليقدّموا لهُ واجب الاحترام . فقبل الملك هذه الشروط كلها وقدَّم لهُ فرساً ملوكية ليركبها ثم سلَّمهُ الرسالتين المطلوبتين ودعا لهم بالتوفيق

فسمع غبرى ميكائيل بالخبر فسأل ان يكون من جملة الوفد فنال متمنّاه ففرح بذلك فرحاً لا يوصف . وكان يعلّل النفس بالوصول الى الحقيقة المرغوبة التي تريح باله وتزيل شكوكه في امور الدين ، آملًا ان بطريرك الاقباط حارس وديعة ايمان ملّته

سيدّد بانوار تعاليمه السامية كل ظلام في عقله ويؤيد بسلطان كلمته الايمان في قلبه . لكنّ هذا كلّه لم يكن الّا اضغاث احلام لأنّ الحقيقة لا تتجزّأ ، ومن ابتعد عنها ليس لكلامه وضوح اذ هو بعيد عن نور الحق ومن ثمّ فهو عاجز عن الاقناع . غير ان يد الله كانت تقوده وهو لا يدري الى الاب دي ياكوبيس ملاك حياته فيقوده رغماً عن شديد تعصبه الى معرفة الحق الصراح فيصدع لهُ ويصبح لهُ خادماً اميناً ومبشراً مخلوصاً

﴿ سفرهُ الى مصر ﴾

ركب الوفد المذكور برئاسة المكرّم دي ياكوبيس سفينة ذات قُلوع في البحر الاحمر وغايتهم القاهرة فدام سفرهم نحو شهرين اظهر المكرّم دي ياكوبيس فيهما من ضروب العناية والاهتمام بكل واحد منهم ما جعلهم يلهجون بفضلهِ مقدّمين لهُ كل اكرام واعتبار بعد ان كانوا يعتبرونه عدوّاً لهم لمخالفته ديانتهم . حتى ان الطوباوي غبرى ميكائيل نفسه كان مثلهم ينظر اليهِ شذراً معتبراً اياه اراتيكياً . لكنه لما رآه مثالاً لجميع الفضائل صار يحترمه ايّ احترام ويجلّه اي إجلال بل صار يميل اليهِ ويحبهُ قلبياً ويشتهي محادثته

وصل الوفد الى القاهرة وهناك خابت آمال غبرى ميكائيل ، ويا لها من خيبة اذ انهم لدى وصولهم مثلوا امام البطريرك القبطي فاستقبلهم بغضب واخذ يشتمهم ويهينهم لانهم اتوا مع مرسل كاثوليكي ، وحرّم عليهم تحت عقاب الحرم الكبير ان يعودوا الى مخالطته . فاستاءوا جميعهم من هذا التصرّف ولاسيما الطوباوي غبرى ميكائيل وبالاخص لمّا عيّن لهم شاباً غبياً جاهلاً اسمهُ ابونا سلامة ليكون اسقفاً على بلادهم . فعندما قام غبرى ميكائيل معترضاً بجرأة على هذا التعيين مبيناً ببراهين دامغة عدم كفاءة المنتخب ليكون اسقفاً لكنيستهم . فغضب عليهِ سلامة واضمر لهُ الشرّ منذ ذاك الحين عازماً على الانتقام منهُ . واذ لم يعبأ البطريرك باحتجاجهم اضطرّوا الى الرضوخ لاوامره مرغمين . فاستولى القنوط على الطوباوي وزادت شكوكهُ في حقيقة الكنيسة الحبشية . وعلى الخصوص لمّا اراد ان يستفتي البطريرك في امور كثيرة فلم يُجبهُ هذا بكلمة بل امره بان يستفتي فيها اسقفه الجديد الذي حار في الجواب فردّدهُ

الى البطريرك فصار البطريرك يرسلهُ الى الاسقف وهذا يراجعهُ الى ذاك حتى فشل اي فشل ووقع في ارتباك عظيم. ثمَّ ان البطريرك امرهم بالرجوع الى بلادهم فاظهروا رغبتهم في الذهاب الى اورشليم فاراد منعهم عن ذلك فتردَّدوا عليه فتركهم حينئذٍ وشأنهم فأخذوا معهم قائدهم القديس الذي اغتنم الفرصة ليبحر وإياهم الى رومية العظمى

﴿ في رومية ﴾

ما كاد الوفد يطأ ارض رومية حتى انتعشت نفوسهم وطابت قلوبهم ولاسيما اذ امتثلوا امام السعيد الذكر البابا غريغوريوس السادس عشر. فقابلوا بين ما لقوهُ عنده من الوداعة واللطف المقرونَيْن بالعظمة والجلال وما لقوهُ عند البطريرك القبطي من الفظاظة والتوّ. اما اندهاشهم مما رأوا من عظمة البلاط الباباوي وفخامة كنيسة القديس بطرس وسائر كنائس رومية مع ما شاهدوه من الآثار الدينيَّة المؤثرة في الديامس وغيرها فحدِّث عنهُ ولا حرج. كل ذلك اثَّر تأثيراً بليغاً في عقل غبرى ميكائيل وقلبه فشعر في باطنه بزوبعة هائلة واضطراب عظيم. فاخذ وهو الحصيف الفهم والبحَّاثة العلَّامة المدقق يزن بميزان عقله الراجح ما رآه وما اختبره اولاً في شخص قائدهم الاب دي ياكوبيس القديس ثم في شخص البابا نائب المسيح على الارض واخيراً في جميع اماكن رومية وآثارها الناطقة بما جرى للكنيسة في نشأتها والدالَّة على انها هي الاساس والصخرة التي بنى عليها السيد المسيح بيعته دون سواها ومنها يجب ان تستمدَّ بقيَّة الكنائس قوَّتها وسلطانها. ثم تذكَّر ان كنيسته الحبشيَّة كانت في بدئها مشتركة مع هذه الكنيسة الحقيقية فانفصلت عنها لغايات بشريَّة. الى غير ذلك من الاعتبارات الهامَّة التي يقتنع بها كل عقل سليم خالٍ عن كل غرض مثل عقل غبرى ميكائيل. واذا اضفتَ الى كل ذلك ما شاهده من البطريرك القبطي ومن الاسقف سلامة وما يعاينهُ كلَّ يوم من حالة الكنيسة الحبشيَّة المحزنة وحالة الرهبان والشعب المتكع في ديجور الضلال تحققتَ ان ايمانه قد تزعزع وتضعضع عقله وتغيَّرت افكاره. الَّا انهُ لم يكن قد حان الاوان بعد ولم تأتِ ساعة الرب التي قد عيَّنها تعالى من الازل لانقشاع الظلام عن عقله تماماً ليرى نور الحق ويتبعه بلا خوف

﴿ في اورشليم والقاهرة ﴾

ومن رومية اتوا الى اورشليم المدينة المقدسة فاطلقوا العنان لعبادتهم في معابدها ولاسيما في قبر السيد المسيح وبيت لحم . وكان غبرى ميكائيل في جميع زياراته لتلك الاماكن المباركة غائصاً في بحر الصلوات الحارّة ذارفاً الدموع السخينة من شدّة التأثير والخشوع . ولما كانوا نازلين على المرسلين الفرنسيسين حرّاس الاراضي المقدّسة لقُوا منهم كل عناية والتفات وشاهدوا فيهم اناساً متجرّدين عن كلّ شيء ارضيّ مكرّسين حياتهمْ لخدمة الرب والقريب . وهذا ايضاً مما أثّر في قلب غبرى ميكائيل الذي لم يفتْهُ امر ولم تخفَ عليهِ حركة شأنَ منْ ينظر الى الامور بعين نقّادة قصْد ان يطّلع على حقائقها . فرأى الفرق الكبير بين هؤلاء رهبان الكنيسة الكاثوليكية ورهبان بلاده فازداد بلباله وكبرت حيرته وهو لا يدري ان النعمة كانت تفعل في نفسه فعلاً سرّيًا قويًا ستظهر مفاعيله في حينها فيندهش ويُدهش كل ناظر اليهِ

ولم يدع غبرى ميكائيل فرصة وجوده في اورشليم تمضي دون ان يستعلم عن الكنائس الاورثذكسية المختلفة الموجودة هناك . فرأى فيها من الخلاف وتناقض المذاهب المتباينة فضلًا عن الحالة التعيسة الصائرة اليها ما فتّتَ قلبه وذهب بعقله شعاعاً . ومع كل ذلك بقي متمسكاً بمذهبه مع عزمه الثابت على اجلاء الحقائق والانتصار على المذهب الكاثوليكي . لذلك قبل رجوعه الى بلاده طلب الى البطريرك القبطي ان يسلمه صورة الايمان الواجب التمسك بهِ . فبعد الاخذ والردّ اجابه البطريرك المذكور الى سؤله بكتابة يصرّح فيها ان «لابن الله ميلادين ميلاد ازليّ وميلاد زمني وبالتالي ان لهُ طبيعتين الواحدة الهيّة والثانية بشرية . وانهُ مُسح من الروح مخلصاً وفادياً» وكان هذا التصريح مخالفاً لصورة الايمان التي سلّمها البطريرك نفسه للاسقف سلامة حين انتخبه لرأس كنيسة الحبشة . فسرّ غبرى ميكائيل كل السرور واخذ الكتابة ليفحم بها الاسقف المتقدم بالذكر . ولم يلبثوا ان همّوا بالرجوع الى بلادهم بصحبة المكرّم دي ياكوبيس

﴿ في رجوعه الى بلاد الحبشة ﴾

ما وصل غبرى ميكائيل مصرَ مع رفقائهِ حتى علم ان الملك «اوبياه» اضطرّ

الى مغادرة جهة الشمال لينتقل الى جهات اخرى. وكان الاسقف سلامة درى برجوع غبرى ميكائيل عدوّه الالدّ وعلم بانه حامل كتابة رسمية من البطريرك فيها صورة ايمان مضادّ ايمانه وتعاليمه. فارسل سلامة جواسيس ليغدروا به على الطريق قبل وصوله الى غوندار. فأخبر غبرى ميكائيل بذلك فأخذ يسير في طرقات مجهولة خوفاً من الوقوع بين ايدي اولئك الرجال. وكان تارةً يتخفّى وتارةً يأوي الى المغاور حتى وصل الى أدوا فلاقاه المكرّم دي ياكوبيس بكل حبّ وترحاب. فاستراح عنده من عناء الطريق ولقي منهُ كل انعطاف ومساعدة. ومع ذلك كان ولم يزل يضمر في قلبه الانتصار عليه في كنيسته الحبشيّة بواسطة صورة الايمان التي كان يحملها لتُعلن بين شعبه وأمّته. حتى انهُ كان يأمل بعد نشر ايمانه انهُ يستطيع ابعاد هذا المرسل الكاثوليكي عدوّ كنيسته من البلاد هرباً من القلاقل والبلابل لتستطيع كنيسة الحبشة النموّ والتقدّم دون مانع ولا معارض يقف في وجهها

وبعد ان اخذ الراحة اللازمة عند الاب دي ياكوبيس استأنف السير الى غوندار ليسلّم الكتابة باحتفال عظيم في جمعيّة حافلة الاسقف حتى يذيعها. فكان كشاوول على طريق الشام يسير ولا يدري انهُ سائر الى النور الحقيقي والدين الصحيح الذي كان يتوق اليه بكل قوى نفسه. ولمّا وصل الى هناك أعلم الاسقف بواقعة الحال. فاضطرب هذا ايّ اضطراب لكنهُ أخفى تأثره وأضمر في قلبه الشرّ لغبرى ميكائيل بل كان يريد القاء القبض عليه لولا حماية تلميذه وصديقه الامير عطيّة يوهانس ووجوده في دير وتيس الرهبان

ولما اجتمع الرهبان والعلماء في اليوم المعيّن لاعلان فحوى الكتابة البطريركيّة قام غبرى ميكائيل وسلّم الرقيم للاسقف سلامة. فبعد ان أطلع هذا على مضمونه طواه ووضعه في جيبه رافضاً بتاتاً تلاوته على مسمع الحاضرين. فقامت قيامة الجميع عليه ولاسيما غبرى ميكائيل الذي جاهر مع اصحابه بانه لا يعترف به اسقفاً. حينئذٍ هجم رجال سلامة عليه ومزّقوا ثيابه واهانوه فغضب الحاضرون من هذه المعاملة. فتآمر الرهبان والعلماء مع الملكة على الاسقف قاصدين اما ان يردّوهُ الى مصر واما ان ينفوهُ الى كوا (الجهة الجنوبيّة) اسيراً حيث يذوق العذابات انواعاً ويموت قهراً. فقام غبرى ميكائيل معاكساً هذا الرأي قائلاً انهُ يجب الاكتفاء بعزله عن كرسيّ الاسقفية

ونفيه الى جهات أدوا وهكذا صار

﴿ في اعتناق غبرى ميكائيل الدين الكاثوليكي ﴾

فلمَّا حبطت كل مساعي غبرى ميكائيل في اعلاء شأن الكنيسة الحبشية بعد ما فعله الاسقف سلامة المتمرد على اوامر البطريرك استولى عليه حزن شديد واخذ منهُ القنوط مأخذه. فصغرت نفسه في عيني ذاته وقطع الرجاء من اصلاح الحال. لكنَّ الايمانَ يبتدئ حيث تنتهي الكبرياء. لذلك طلب العزلة والانفراد في بيت صديقه الامير عطيه يوهانس وهناك شرع يردّد في افكاره كل ما جرى لهُ وكل ما رآه في رومية واورشليم وفي اديرة الرهبان اللاتين ولا سيما من قائدهم ورفيقهم الاب يوستينوس دي ياكوبيس اللعازري. كل ذلك فعل مفعوله العجيب في عقله وقلبه فأخذ يقابل ويجادل ويستنتج النتائج فكانت النتيجة عنده التي لا ريب فيها ان الايمان الكاثوليكي هو الايمان الحقيقي وان الكنيسة الرومانيَّة هي التي أسسها المسيح وساسها الرسل وخلفاؤهم وهي وحدها حافظة الدين الحق والعلم الصحيح

فقام لساعته وذهب الى ادوا لزيارة الاب دي ياكوبيس. ففتح لهُ هذا الرسول القديس قلبه وذراعيه. فباح لهُ غبرى ميكائيل بسرّه الكنَّهُ طلب اليه ان يعطيهُ فرصة لدرس الدين الكاثوليكي مستفهماً ومجادلاً ومباحثاً مدققاً. فبقي على هذه الحال نحو خمسة اشهر. ولمَّا انجلت لهُ الحقائق وسطع نور الحق لعينيه أحنى رأسهُ وأخضع عقله وقال من صميم قلبه وبكل قوى نفسه: «آمنتُ». فدحض جهراً المذهب الحبشي، وتحوَّلت جميع اشواقه وافكاره الى نشر الحق بين بني جنسه، فقدَّم ذاته لخدمة النائب الرسولي وبدأ يعلم ويباحث ويجادل لاقناع المتعصبين التائهين في بيداء الضلال والجهل. فكنت ترى غرفته دائماً حافلة بالعلماء وطالبي الجدال والعلم الحق. فكان يبدّد غياهب الضلال عن عقولهم مبيناً لهم الصراط المستقيم ومستحلفاً اياهم ان لا يهملوا البحث والتدقيق في مثل هذه الامور المتعلق عليها الخلاص الابدي وكان لكلامه وقعٌ عظيم في قلوب سامعيه حتى انهم كانوا لا يستطيعون ان يجيبوهُ بكلمة. فقبل منهم كثيرون تعاليمه وارتدّوا الى الايمان الكاثوليكي وبينهم كان ستة من تلاميذه القدماء من رهبان دير غوندغوندي. فانقاد هؤلاء الى اوامر الاب

دي ياكوبيس النائب الرسولي واخذوا يطوفون البلاد معهُ ومع غبرى ميكائيل ويزورون الاديرة باحثين في مكاتبها عن الكتب النفيسة التي تبرهن عن قداسة الكنيسة الكاثوليكية. ثمَّ شرع غبرى ميكائيل يؤلف الكتب المفيدة للمدافعة عن الايمان الكاثوليكي آخذاً براهينه عن كتب الحبشيين انفسهم وينشر التعاليم اللازمة لتدريب الاكليريكيين حتى يحسنوا التأهب لقبول الدرجات المقدسة. وبمساعدته وبواسطة المرتدين حديثاً الى الايمان تمكن الاب دي ياكوبيس من اقامة مدرسة اكليريكية في غوالا. فلم تلبث هذه المدرسة ان ازدهرت بالعلوم والفضائل واثمرت ثماراً شهيَّة. ففي هذه المدرسة قضى غبرى ميكائيل حياتهُ الى اليوم الذي فيهِ قيدَ الى السجن والاستشهاد

﴿ في بدء الاضطهاد ﴾

وحدث في تلك الايام ان سافر غبرى ميكائيل الى غرندار ليردّ تلميذه وصديقه الامير عطيه يوهانس الى الايمان الكاثوليكي فنجح في مسعاه. الّا انَّ الاسقف سلامة كان يراقب كل حركات الاب دي ياكوبيس وتلميذه غبرى ميكائيل فهيَّج الشعب والكهنة عليهما وعلى الرسالة الكاثوليكية جمعاء. فاضطرَّ الاب دي ياكوبيس الى الالتجاء الى الملك اوبياه الذي احسن وفادته واخذ يناصره وجاء بنفسه معهُ الى الثغره لتهدئة الامور. ولم يرجع الاب دي ياكوبيس الى غوالا حتى أثار عليهِ الاسقف سلامة ثانيةً الكهنة والشعب فهجموا على الدير واحرقوه مع الكنيسة وسلبوا كل ما كان فيهما من الامتعة. فهرب الكاثوليك وتشتَّت شمل الكهنة. فلم يستطع الملك اوبياه منع كل ذلك لان الاسقف سلامة كان ارسل اليهِ يهدده بالحرم فخافهُ من حنقه وشرّه. ثمَّ علم سلامة ان سيادة الاسقف ماسيًا كان أتى الى غوالا وسام كهنة كاثوليكيين فثار ثائره واشتدَّ غضبه على دي ياكوبيس وغبرى ميكائيل وكتب الى الملك اوبياه يعلمه بذلك فخاف الملك من عاقبة الامر وسأل الاب دي ياكوبيس بان يُخرج الاسقف اللاتيني ماسيًا من ديره

امَّا الاسقف سلامة فكان يرسل الاوامر المشدَّدة الى رؤساء الشعب بقتل الاب دي ياكوبيس وغبرى ميكائيل متهدّدًا اياهم بالحرم وواعداً من يستطيع ان يأتيه برأس احد هذين العدوَّين بسبعة اكاليل في السماء. وكان الملك اوبياه يودّ المحافظة على

الاب دي ياكوبيس الّا ان الاسقف سلامة لمّا رأى منهُ الميل الى النائب الرسولي اصدر عليهِ الحرم الكبير وحرّم على الشعب ان يقدّموا لهُ الماء والحطب. واقفل جميع الكنائس ومنع الكهنة عن توزيع الاسرار الى ان يُطرَد الكاهن الكاثوليكي ومن معهُ . فنسب الشعب كل هذه البلايا الى الملك اوبياه فخاف وارسل يسترضي الاسقف سلامة فأبى هذا ان يصالحهُ ما لم يطرد الكاهن الكاثوليكي . فاضطرّ الملك اذ ذاك الى ارسال الاب دي ياكوبيس الى مصوّع

﴿ في سيامة الاب دي ياكوبيس اسقفاً وقبول غبرى ميكائيل من يده الدرجة الكهنوتية المقدسة ﴾

صورة الكاهن الحبشي غبرى ميكائيل

وكان أنْ صدَرَ امر المجمع المقدّس بسيامة الاب دي ياكوبيس اسقفاً ليثبّت الكنيسة الحبشيّة الكاثوليكية الحديثة في الايمان فأفرغ هذا الاب القديس طاقة جهدهِ ليبعد عنهُ الرتبة الاسقفيّة الّا انهُ التزم بعد ممانعة دامت سنة كاملة بالرضوخ لاوامر العناية الالهيّة والكرسي الرسولي . فتمّت سيامتهُ سرًّا وبقيت سرّيّة مدّة ثماني سنين لم يدرِ بها الّا الكهنة فقط والبعض القليل جدًّا

وفي تلك الاثناء جاء السيد دي ياكوبيس الى البيقانا لبعض الامور الهامة رغماً عن الاضطهاد فطلب اليهِ غبرى ميكائيل ان يسمح لهُ بالذهاب الى غوندار ليهدي الكهنة الضالّين.

فأباح له بذلك الّا انهُ لدى وصوله الى هناك خانهُ البعض فأخذوه وسلّموه الى رجال الاسقف الذين وضعوه في السجن مقيّداً مدة سبعين يوماً . ولم يخرج من سجنه الّا بواسطة الملك اوبياه ذاته . ففهم اذ ذاك ان الله يريده بالقرب من ابيه الروحي السيد دي ياكوبيس . فسافر الى اليتيانا وانكبَّ على الدرس وممارسة الفضائل المسيحيّة تحت ادارة معلمه القديس الذي اغتنم الفرصة ليدفع تلميذه الى قبول الدرجات المقدسة . فاندهش غبرى ميكائيل من هذه المباغتة لكنهُ لم يلبث ان رضخ للامر معتبرًا انذاك صوت الله وان نعمة الكهنوت تسهّل عليه العمل وتنصره على المصاعب فيخلّص غيره فضلًا عن تخليص نفسه . فاخذ يستعدّ لهذا الامر الخطير اي استعداد مدّة سنة كاملة وفي نهايتها سيم كاهناً من يد ابيه وذلك بحفلة سرّية جرت في اول كانون الثاني سنة ١٨٥١ وكان عمره اذ ذاك ٥٩ سنة

وبعد ذلك ارسله السيد دي ياكوبيس الى غوندار عاصمة البلاد عاقدًا على غيرته وحكمته وقداسته آمالًا كبيرة . وكانت نفسه تحدّثهُ بهداية الملك اوبياه ذاته الى المذهب الكاثوليكي . غير ان الظروف لم تساعدهُ على اتمام ما كان ينويه من الخير بل ان الايام خانتهُ واحبطت كل مساعيه لان الاسقف سلامة كان بحيله ودهائه قد نال حظوة كبرى عند الملك الذي كان يخاف منهُ . وحدثت في تلك الاثناء فتنة في الدولة كانت نتيجتها ان دارت الدوائر على الملك اوبياه فطُرد من اراضيه وقام مكانه جنديٌّ اسمهُ كاسًا فساعده الحظ وخدمتهُ الظروف والايام فنودي بهِ ملكاً باسم توادوروس . فهذا اتفق مع الاسقف سلامة على اضطهاد الكاثوليك وطرد المرسلين اللاتين . فلمّا شعر السيد دي ياكوبيس بالخطر جاء الى غوندار ينتظر الاقدار

في الاضطهاد العام

فلمّا تربّع كاسًا في دست الملك اخذ على نفسه بمساعدة الاسقف سلامة ان يمنع الحبشة عن نبذ دينهم متهدّدًا بالموت كل من يخالف هذا الامر . فنال سلامة مبتغاه واعلن صورة ايمان هذا مؤداها : ان كان احد ينكر ان المسيح هو اله بناسوته وانهُ كانسان ساوٍ في العلم للآب والروح القدس فلتُقطع عنقه ورجلاه . ثمَّ سألهُ الغازي كاسًا ان يمسحهُ وينادي بهِ كملك ملوك كل الحبشة فوعدهُ الاسقف بذلك

بشرط ان يطرد المرسلين الكاثوليك ويخرب اديرتهم وكنائسهم فاجابهُ الغازي: «يا ابا نفسي فليكن لك كما تريد على شرط ان تعضدني»

فانتشر الامر في كل مكان واشتعلت نيران الاضطهاد العام ضد جميع الكاثوليك. وارسل الاسقف سلامة الى الملك يقول لهُ انهُ لن يعود الى غوندار الا بعد طرد السيد دي ياكوبيس ورجاله منها. فارسل الملك والقى القبض عليهم فقيدوهم بالسلاسل واخذوهم الى السجن. فحبسوا السيد دي ياكوبيس وحده واما غبرى ميكائيل والباقون فاخذوهم الى مكان آخر. لكنهم قبل ان يفترقوا خرُّوا كلهم على قدمي ابيهم ومعلّمهم السيد دي ياكوبيس وطلبوا بركتهُ بدموع غزيرة. فبكى هو بكاء مرًّا عند ساعة الفراق هذه، ولاسيما لمَّا عانق غبرى ميكائيل كأنهُ كان يشعر باطناً بما سيحلُّ بهِ من العذاب والآلام حبًّا بسيده.

﴿في سجن غبرى ميكائيل وعذاباته﴾

فلما وصل غبرى ميكائيل ورفقاؤه الى السجن ارسل الاسقف سلامة يأمر السجّان بالتضييق على غبرى ميكائيل اكثر من غيره. وعند الصباح جاء هو بنفسهِ الى السجن ليستميل الطوباوي الشهيد اليه. فسأله ان يأتي ليتناول طعام الصباح معهُ ظانًّا بذلك انه ينتصر عليه. فقال له الشهيد: «انا لستُ بحاجة الى طعام. فاذهب وقدّم طعامك لاخي الكاهن الموجود معي لانه معذّب اكثر مني». حينئذٍ وثب الاسقف كالنمر على الشهيد وضربه بشدَّة على خدّه قائلًا له: «ايها المتكبّر انت بين يديَّ وتريد ان تتأمّر عليَّ». وعندما هجم الحاضرون عليه وضربوه بعنف وشتموه واهانوه ومزّقوا ثيابه فانطرح على الارض بين ميت وحيّ وصار الدم يتدفق من فمه بكثرة حتى خيل للجميع انه قد مات

ثم جمع الاسقف الكهنة وتلا عليهم صورة ايمانه التي كانت كنائس الحبشة رفضته سابقاً فخضع الاكثرون خوفاً من غضبه ولم يلبث الباقون ان وافقوهُ هم ايضاً. فلما رأى الاسقف انتصاره الباهر على هؤلاء ظنَّ انه ينتصر على غبرى ميكائيل ورفقائه. فأمر باحضارهم امام الذين جحدوا الايمان الكاثوليكي وقال لهم: «ان لم تجحدوا ايمانكم مثل هؤلاء اسلمكم الى الملك ليصدر عليكم حكم الموت» فاجابه غبرى ميكائيل: «كلا لا اجحد ايماني قط فهو متأصل في قلبي. فافعل بي ما

الانبا غبرى ميكائيل في سجنه

تريده . ثم قال الآخرون : « ونحن ايضاً نفضل الموت على الكفر » . فغضب الاسقف وامر بان توضع ارجلهم في مقاطر خشبية ضخمة وهذا ما يسمونه بلغتهم «عذاب الجهنم» وهو عذاب اليم جداً يجعل الانسان الذي يريدون تعذيبه عديم الحركة بنوع انه لا يستطيع سوى القعود او الاستلقاء على ظهره فقط . وبقوا على هذه الحالة مدة ثلثة اشهر في سجن مظلم ومنتن ذي رطوبة ووحل وكان البرد قارساً والمطر غزيراً جداً يتزل عليهم من سقف السجن المتداعي حتى انهم ذاقوا الموت على عدد دقائق وجودهم في تلك الحالة لما قاسوا من البرد والجوع والعري والضيق والآلام والضنك . وقد ابقاهم هؤلاء الجلادون القساة مدة ثلثة ايام كاملة دون طعام ولا شرب . فالتفت احد

المسجونين مع غبرى ميكائيل وهو الانبا تقلـه هايمانوت وقـال له : «يا ابتِ . يا ابتِ . — اجابه الشهيد: تكلّم يا ابني اني سامع لك . — قال ذاك : ها انهم لم يعطونا لا خبزاً ولا ماء . وانا سمعتُ ان الصوم متى دام اكثر من ثلثـة ايام يميت الانسان . أما فاتت هذه المدة؟ — اجاب الطوباوي: يا ابني وكيف اجيبك ونحن هنا في هذا الموضع لا نستطيع ان نميز الليل من النهار ؟ اما انا فاظنُّ ان الانسان يستطيع ان يعيش بدون اكل ولا شرب مدة ثمانية ايام . — قال ذاك: انا اظنّ يا ابتِ اننـا قريبون من اليوم الذي فيه نُعطى ان نشاهد يسوع . وجهاً بازاء وجه وان نتسلى من حضوره اللذيذ . — فهتف حينئذٍ غبرى ميكائيل صارخاً : تعـالَ اذاً يا يسوع ! يا خبز الحياة ! ايها النور الازلي ! تعالَ يا يسوع . تعالَ ! »

ثم لزيادة تعذيبهم أمر الاسقف بتفريق شملهم فوضعوا كلَّ واحد منهم في مكان مظلم . وهذا كان لرجال الله اكبر عذاب ذاقوه حتى ذاك الحين . اذ انهم لمّا كانوا سوية كان الطوباوي غبرى ميكائيل يشجّعهم بكلامه العذب ومثله العجيب . وكان الشهيد يتقوّى ويتعزّى بثباتهم وشجاعتهم . امّا الان فحُرموا هذه التعزية واصبحوا في عذاب خارجي وباطني معاً . وكانوا خمسة ومع انهم ثبتوا كلهم في الايمان الصحيح واحـدٌ منهم فقط نال اكليل الشهادة وهو الطوباوي غبرى ميكائيل

وكان كلما توالت الايام تزداد مصائب الشهيـد وتضعف قواه الجسدية . فاتفق يوماً انه بينما كان يريد ان يجلس انقلب على وجهه وأصبح راسه تحت الخشبة الضخمة التي كانت رجلاه مقيّدتين بها وبقي على هذه الحالة المزعجة ٢٤ ساعةً بدون حركة حتى كادت تزهق روحه . فلما جاء الحارس عند الصباح ظنه ميتاً . فأعلم الموجودين هنـاك بالامر فشفقوا عليـه وبدأوا يصرخون ويقولون موجّهين كلامهم الى الاسقف القاسي القلب: «يا قاتل الناس . اشفق ! » فعندها خاف الاسقف من هيجـان الشعب وأمر بتخليصه من « الجهند » وان يقيَّد بالسلاسل فقط . لكنه حار في امره ولم يعد يعرف ماذا يعمل حتى يقنع الشهيد بجحود ايمانه . فدعا العلماء والمعلمين وامرهم بان ينصحوه ليخلص نفسه من العذاب والموت . فاخذ هؤلاء يستعملون معه تارة التحريض واخرى النصيحة طوراً الوعد وطوراً الوعيد واخيراً التوسلات . اما هو فاجابهم بكل سكينة الروح وشهامة النفس: « اغربوا عني ايها الضالّون السافلون والمضلّون الشيطانيون » ولما

الحُوا عليه طالبين الجدال معه ليقنعوه قال لهم :« انظروا الى هـذه السلاسل فانها تجيبكم عني » وكان هذا الجواب مفحماً لهم

فلمَّا خابت جميع مساعي الاسقف سلامة طلب الى الملك نفي السيد دي يا كوبيس من البلاد . فشقَّ الامر على الاسقف القديس وعلى ابنائه الشهداء . فارسل اليهم كتابة ليعزّيهم ويوطد عزائمهم ليكونوا اهلاً للشهادة . أما سلامة فالحّ على الملك توادوروس في ان يشدّد الاوامر على الكاثوليك . فأصدر امرًا مبرماً يحكم بالموت على كل معاند لأحكام اسقف الحبش . فاغتنم هذا الرجل الظالم الفرصة ليقضي على غبرى ميكائيل فبدأ اولًا يهينه ويشتمه ويبكته على سوء تصرفه معه . فاجابه الطوباوي :« أجل اني معاند لك نظرًا للايمان . اما نظرًا لواجبات المحبة فلا اظنّ اني اسأت اليك قطّ » فاستشاط الاسقف غيظاً وصرخ باعلى صوته قائلًا :« خذوه من امامي واجلدوه بقساوة » . فعرّوه من ثيابه وضربوه ضرباً عنيفاً حتى تطايرت لحمانه وسالت دماؤه فسقط على الارض مغشيًّا عليه لا يعي

كل هذا لم يشفِ غليل الاسقف سلامة بل طلب الى الملك احضار غبرى ميكائيل امام مجلسه المهيب ليحاكمه ويُعاقبه على عصيانه . وكان قصده من ذلك اهلاك رجل الله لانه كان يعلم اعتصامه بايمانه وشراسة اخلاق الملك . فقال في نفسه :« ان عاند غبرى ميكائيل الملك وهو الامر الاكيد عندي سيغضب الملك عليه غضباً لا مزيد عليه وحينئذٍ يأمر بقطع رأسه فنتخلص من شره » وكان معمياً في ظنه الاثيم . فلما حضر الشهيد امام توادوروس الملك التفت اليه هذا وقال له :« اعلم يا رجل ان شرائع المملكة تحكم عليك بالموت وانا استطيع ان احكم عليك به » . فاجابه الشهيد : وما بالك لا تُصدر عليَّ هذا الحكم عاجلًا » ؟ قال الملك : « اذا كنت تحبّ الموت وتريده عاجلًا عليك ان تقتل نفسك » . فاجاب الطوباوي :« انا لستُ يرضاس لافعل هذا » . فحنق الملك وامر بوضعه في سجن مظلم وبتعذيبه أشدَّ التعذيب

وفي تلك الاثناء حاز الملك انتصارات باهرة فطلب من الاسقف سلامة ان يمسحه ملكَ ملوكِ الحبشة ففعل . وعندها اغتنم الاسقف الظالم فرصةً لاهلاك الانبا غبرى ميكائيل . فحرَّك الملك على قتله قائلاً له :« الارض كلها تخضع لك الّا هذا الاحمق غبرى ميكائيل . وهذا مما يضرّ بسلطتك اذ يتوهّم الجهلاء انك عاجز عنه » . فاصدر

الملك حكمهُ باحضار الرجل حالًا امامه وامر بنزع ثيابه عنه وكان في هزال مرعب لشدّة عذابه . ثم قال له : «اخضع يا رجل لاوامري وآمن بايماني» . فاجابه رجل الله : «ايها الملك لا تأمل مني ان اقول مثلك ان للسيّد المسيح الطبيعة الالهية فقط دون الطبيعة البشرية» . فضربوه على وجهه ضرباً عنيفاً حتى سقط على الارض مغشيًا عليه . وجاء اربعة رجال اقوياء وبايديهم مجالد اذناب الزرانف وهي كالاسلاك الحديدية صلابةً ومتانة . وبدأوا بضربه بقساوة مدّة ساعتين كاملتين حتى سالت دماؤه وتناثرت لحماته وهو يردّد باعلى صوته قائلاً : «ايماني ايمانُ الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية . الهي اسأل جودك ان تساعد ضعفي بنعمتك وان تقيلني بغزير مراحمك»

فلمّا رأى ترادوروس ان هذا الضرب لا يثني الشهيد عن عزمه امر بضربه سبعين ضربة على عينه الوحيدة حتى اغرورقت عينه بالدماء . وكان الملك الظالم يصرخ باعلى صوته قائلاً : «اضربوه . اضربوا ولا تشفقوا حتى يموت تحت الضرب» فتعب الضاربون من الضرب امّا الشهيد فكان كالجبل لا يتزعزع محتملاً هذا العذاب بصبر وفرح حبًا بسيده الذي جُلد قبلهُ وعُذّب وصُلب . حتى توهّم الحاضرون انه مات . اما هو فلما رأى ان الجلادين توقفوا عن ضربه انتصب وقال لهم : «ما بالكم واقفين ؟ هل اخذ منكم التعب مأخذه ؟» فاندهش الناس من هذه الشجاعة ومن عدم موته تحت هذا الضرب الاليم الطويل المدة . فان الله كان يعضده ليحتمل هذا العذاب . حتى انه قام من دون ادنى اثر للضرب في جسمه . وعينه التي كانت غارقة بالدماء حتى ظنّ الناس ان نورها قد انطفأ اصبحت اضوأ من الشمس وبانت سالمة من كل اذى . فهتف جميعهم قائلين : «يا لله من هذه الاعجوبة ! . . . حقًا انها لاعجوبة باهرة . . فكيف توارى اثر الضرب من جسم هذا الرجل مع انه ضُرب مدة ساعتين باذناب الزرانف امامنا ؟ كيف انه ضرب على عينه سبعين ضربة بهذه المجالد وعينه لم يصبها أذًى . حقًا ان هذه لاكبر المعجزات . . حقًا ان هذا ضاهى القديس جاورجيوس الشهيد . . حقًا انه لقديس»

اخيرًا اغتنم ترادوروس فرصة وجود سفير ملك انكلترة عنده حتى يحضر امامه للمرة الاخيرة غبرى ميكائيل . فلما امتثل هذا بين يديه صرخ الملك قائلًا : «ايها الحاضرون كلكم من امراء وسطارين ورهبان وعلماء الشريعة . اني اخضعتُ الجميع

لسلطاني وايماني وشريعتي ما عدا هذا الراهب الذي تمرّد على السلطة التي قلّدني اياها الله » حينئذٍ انتصب الشهيد وقال له بشهامة مسيحية : « انا لا اعرف قاضياً على ايماني واعتقادي الّا سيدنا يسوع المسيح ونائبه على الارض الحبر الاعظم اسقف رومية ». فقال له الملك : « الستُ انا حاكماً وقاضياً عليك ؟ » — اجابه رجل الله : « نعم لك سلطة على الاجساد وليس على النفوس . انت آفة البلاد واسقفك شيطانها ». وعندها حكم عليه الملك بالموت رمياً بالرصاص الّا ان سفير انكلترّة تشفّع به فأبدل هذا الحكم بالسجن المؤبد . فكان حيثما يذهب الملك بغزواته وفتوحاته يُقاد الشهيد وراءه مكبّلاً بالقيود الحديدية . فكم ذاق من العذاب ومن الاهانات ومن الآلام التي لا تطاق الّا بمعونة الله ومساعدة نعمته ! ودام على هذه الحال مدة شهرين اصابته في اثنائها مع جميع المصائب والضربات والمشقات انواع الحُميّات وأُصيب اخيراً بالهواء الاصفر . ولما شعر بدنوّ ساعته الاخيرة اتكأ على شجرة في الطريق وتنبّأ عن البلايا التي ستحلّ بالمملكة الحبشية ورقد بسلام الربّ لينال اكليل المجد الذي يستحقّه . وكان ذلك في ٢٨ آب سنة ١٨٥٢ وله من العمر ٦٤ سنة . فحلّ الحراس قيوده ودفنوهُ باكرام قرب الشجرة التي كان متكئاً عليها

اما الآن وقد تحقّقت الكنيسة المعصومة من الغلط قداسة رجل الله هذا وغريب شجاعته وشديد العذاب الذي قاساه من اجل الايمان الصحيح وثباتهُ في الامانة نحو الله الى آخر نسمة من حياته فقد اعلنت قداسته ونادت به طوباويًا وشهيداً مجيداً وأذنت لابنائها ان يكرّموهُ على المذابح وان يتخذوه شفيعاً لديه تعالى . فنحن نتهلّل ونفرح بتمجيد هذا الشهيد الباسل ونهتف نحوه بافتخار وثقة قائلين : ايها الطوباوي غبرى ميكائيل تضرّع لاجلنا !

شهيدا الثورة الفرنسوية

من جمعيّة كهنة الرسالة المعروفين باللازريين

بقلم الاب يوسف علوان اللازري

بعد ان تكلمنا عن الطوباوي غبرى ميكائيل فلنتكلم الآن عن الطوباويّين اللازريين الآخرين اللذين تمّت خلة تطويبهما في كنيسة القديس بطرس في ١٧ تشرين

الاول من السنة ١٩٢٦ مع ارفاقهم شهداء الثورة وهم الطوباوي لويس يوسف فرنسوا والطوباوي يوحنا ماري غوبيار

﴿ ١ ﴾ الطوباوي لويس يوسف فرنسوا ﴿

الرئيس اللعازري

١ الطوباوي فرنسوا في جمعية المرسلين اللعازريين

ولد هذا الشهيد في ٣ شباط سنة ١٧٥١ في بوزيني (Busigny) وهي بلدة من مقاطعة شمالي فرنسا من والدين تقيين . وفي نهاية دروسه الثانوية التي تلقّاها في مدرسة الآباء اليسوعيين في مدرسة كاتو كامبرازي (Cateau-Cambrésis) شعر بالدعوة الرهبانية والرغبة في الانضمام الى جمعية كهنة الرسالة المعروفين باللعازريين المؤسسة من القديس منصور دي بول . وكان عمره اذ ذاك خمس عشرة سنة . فقُبل في دير القديس لعازر في باريس ليقضي فيه سني الاختبار وذلك في ٤ تشرين الاول سنة ١٧٦٦ ولم يبرز النذور الرهبانية الّا في ٤ شباط سنة ١٧٦٩ لحداثة سنه فأثّر مثله هذا في اخوته فدخل منهم اثنان في جمعية اللعازريين ودخلت احدى اخواته جمعية راهبات المحبة

ولمّا سيم لويس يوسف فرنسوا كاهناً ارسله رؤساؤه الى احدى المدارس الاكليريكية الكبرى حيث درّس العلوم العالية كالفلسفة واللاهوت وكان قد خصّهُ الله بفصاحة اللسان . فكان معدوداً بين الخطباء المتازين في عصره

وفي سنة ١٧٨١ عيّنه الاب جاكيار (Jacquier) الرئيس العام وقتئذٍ على جمعية الرسالة رئيساً لمدرسة تروا (Troyes) الاكليريكية الكبرى ولم يكن عمره وقتئذٍ الّا ثلاثين سنة فقام بمهمته هذه حقّ القيام . فاظهر من الحكمة والدراية والادارة والفضيلة ما ادهش معاصريه وجعلهم يجلّونهُ ايّ اجلال . لكنه لم يلبث ان دعته ادارة الجمعية الكبرى الى منصب كتابة السر العامّة فبرهن عن جدارة عظيمة في تدبير الامور

ولمّا كان الاب فرنسوا مشهوراً بفصاحته كان الاساقفة ورؤساء الاديار ومدير

المدارس الكبرى يدعونه للخطابة ولالقاء الرياضات والارشادات الروحية في كنائسهم واديرتهم على الكهنة والرهبان والشعب. فكان كلامهُ يؤثر في الجميع ويثمر ثمار الخلاص في النفوس. من ذلك انه خطب في مدرسة سان سير (Saint Cyr) المؤسسة من مدام دي منتنون (de Maintenon) بمناسبة احتفالها بالتذكار المئوي لتأسيسها. فأثنى على مدام دي منتنون وعلى عملها الخيري لكنه ندَّد ايَّ تنديد على سوء تصرُّف رجال قصر الملك لويس الخامس عشر بلهجة رسولية وغضب مقدَّس وبلاغة تسلب العقول. فكان لكلامه وقعٌ كبير في النفوس وتأثير بليغ في القلوب. فطُبع هذا الخطاب الجميل البديع ورُفع تقدمةً بنويَّة لاسقف شارتر (Chartres). ولمَّا توفيت مدام لويز دي فرانس ابنة الملك لويس الخامس عشر التي كفَّرت عن ذنوب ابيها بحياةٍ كلها قداسة في دير الراهبات الكرمليات في سان دي (Saint-Denis) باسم الاخت ماري تراز دي سانت اغوستان دُعي الاب لويس يوسف فرنسوا لتأبينها ففعل وأبدع. فنُشر خطابه مطبوعاً حتى لا تذهب به ايدي الضياع. وفي تلك الاثناء توفي رئيس مدرسة سان فيرمان الاكليريكية في باريس فاضطرَّ الاب كايلا دي لاغارد (Cayla de la Garde) رئيسها العام الذي قام بدلًا من الاب جاكيار المتوفى الى تعيين الاب لويس يوسف فرنسوا مكانه. وكانت هذه المدرسة اهمّ مدارس جمعيتنا وليست هذه المدرسة الَّا مدرسة ده بون زانفان (Collége des Bons Enfants) حيث نشأت جمعيتنا تحت تدبير ابينا القديس منصور نفسه. فادارها بحكمته المعهودة واتمَّ فيها اعمالًا تُشكر الى ان جاءت الثورة وبدَّدت شمل سكَّانها. فقام رئيسها الباسل يحتجُّ على هذا الظلم الفاحش فنشر كتيباً يدافع فيه عن حقوق الكنيسة عنوانهُ « رأيٌ في الاملاك الكنسيَّة »

٣ الطوباوي فرنسوا يدافع عن الكنيسة

قرر مجلس الثوَّار سنَّ الدستور المدني للاكليروس وكان مجحفاً بحقوق الكنيسة ومخالفاً للنظام الكنسي وحتم على جميع الكهنة والرهبان ان يحلفوا يمين الامانة للامة وللشرائع وللملك. وأثبت هذا القرار الملك لويس السادس عشر لضعفه وخوفه من الشعب. وعندها بدأت الاضطهادات للكنيسة ورجالها. فرفض الاب فرنسوا واخوتهُ

اللعازريون ان يحلفوا اليمين المطلوبة ونشر كتاباً مطوّلاً بيّن فيه عدم وجوب الطاعة لهذا الدستور محرضاً رجال الاكليروس على عدم ابراز اليمين قائلاً: «لا تحلفوا بل فضّلوا الموت على ذلك . اجل ان الموت جوعاً هو شرٌ ولكن شراً من ذلك العيشةُ في الجحود والعصيان للدين وللكنيسة» . فطُبع هذا الكتاب سبع مرات لاقبال الناس على مطالعته ولما فيه من التعاليم الخلاصية والبراهين القاطعة والنصائح المسيحية

فقام في وجهه حينئذٍ غريغوار اسقف لوار اي شار (Loir-et-Cher) الدخيل الذي كان في مقدّمة القائلين بوجوب ابراز اليمين للدستور . فنشر كتاباً يندّد فيه على كتاب الطوباوي فرنسوا . فاجابه هذا في كتابٍ نشره وجلاه باسم «محاماتي عن كتابي ضدّ هنري غريغوار» فنال هذا الكتاب انتشاراً واسعاً اذ طُبع سبع مرات كالكتاب السالف . وفي تلك الاثناء دبّج ايضاً خمس مقالات طويلة ووزّعها على الجمهور وكلّها تبيّن ما في الدستور المدني للاكليروس من الضلال والاجحاف بحقوق الكنيسة . فلمّا رأى الثوّار كل هذه المعارضة للدستور الذي سنّوه للاكليروس كلّفوا شاساي (Châssey) باذاعة نشرة جديدة تُتلى في جميع الكنائس يضمّنها الاوامر المشدّدة لجميع الاكليروس بحلف اليمين . فقام الطوباوي فرنسوا وشمّر عن ساعد الجدّ وأذاع كتاباً عنوانه «الفحص عن اوامر الجمعية الوطنيّة بشأن الدستور للاكليروس» وختم كتابه بذات القول الذي ختم به شاساي نشرته وهو: «ايها الفرنسيون قد علمتم الآن عواطف ممثليكم ومبادئهم . فلا تنخدعوا اذاً بكلام ملؤه الكذب والخداع»

ولمّا كان بعض الاكليروس المخدوعين يظهرون استياءهم ممّا كان الطوباوي فرنسوا ينشره مدافعةً عن حقوق الكنيسة ناسبين ذلك الى عدم التروّي والتهوّر وكان الطوباوي قد ردّ على جميع اعتراضاتهم في كتابه الاول أراد مع ذلك الردّ ثانيةً على كل هذه الاقاويل في كتاب آخر عنوانه «خطرات افكار في التخوّف من الانشقاق الناتج عن عدم حلف اليمين المدني» فنظر في المسألة من جميع وجوهها بايضاح بليغ وفصاحة مفحمة واستنتج من ذلك نتائج قاطعة موجبة ذمةً عدم حلف اليمين بل عدم قبول الاقالة او الاستقالة من المناصب الكنسيّة هرباً من الحلف . ثم عاد في كتاب آخر عنوانه «لا إقالة ولا استقالة» الى هذا الموضوع بزيادة ايضاح . فعندما خلع الثوّار جميع الاساقفة والكهنة الذين لم يرضخوا لليمين وعيّنوا مكانهم آخرين خضعوا

الدستور المدني. فحينئذٍ كتب الاب فرنسوا نشرة ضمّنها في عشرين صفحة جميع النصائح الاخوية ووجّهها الى اولئك الضالّين بهذا العنوان «لم يَفُتِ الوقت بعد» ثمّ أتبع هذه النشرة بكتاب آخر عنونَهُ باسم «رسالتي الاولى تفنيداً لمزاعم كاموس (Camus) ضدّ براءتَي البابا» واخيراً اختصر الكتاب الذي كان نشره الفاضل بطرس غريغوريوس لابيش دي ريذيفور (de Regnafort) المعنون «بالدواء ضدّ الانشقاق او افكار الفرنسيين الكاثوليك». فاقتطف منه ما يفيد المؤمنين ونشره تحت عنوان «قد عرف الان الشعب او أجوبة مختصرة وجلية على اعتراضات القائلين بوجوب الخضوع للدستور المدني» فافاض في الردّ على ثمانية وعشرين اعتراضاً

فكان ذلك أغضب السلطة المتهوّرة فقرّرت صورة يمين جديدة اكثر صراحةً من الاولى مؤداها «ألا يجب على كل كاهن او اكليريكي ان يحلف يمين الامانة نحو الأمة والشريعة والملك وبالمحافظة على الدستور الذي اذاعته الجمعية الوطنية في سنة ١٧٨٩ و١٧٩٠ و١٧٩١؟». واضافت الى كل ذلك ان كل كاهن يرفض حلف هذه اليمين يُحرَم من معاشه بل يُنفى من بلدته ومسكنه. فأبى لويس السادس عشر اثبات هذا الامر وعندها قام الاب فرنسوا النشيط وحبّذ تصرُّف الملك بكتاب نشرهُ وعنونه «الثناء على تصرُّف الملك في عدم إثباته امر الثوّار»

فكل هذه الكتابات التي نشرها الطوباوي فرنسوا تعرب عن شديد تمسُّكه بالايمان الصحيح وعن نشاطه الرسولي القائم بالمدافعة عن حقوق الكنيسة والمحافظة على التقاليد الرسولية وعن غيرته على خلاص النفوس المفتداة بدم ابن الله. وجميعها جُدّد طبعها مرّات عديدة الى سبع او عشر مرات احياناً لما فيها من الفوائد والتعاليم الصحيحة الحقّة حتى قال احد معاصريه السيد بولانجيار (Boulangier): «ان الاب فرنسوا اللعازري كان اشدّ الغائرين على المدافعة عن الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني ضدّ اليمين المدني وضد القائلين بقبوله».

٣ استشهاد لويس يوسف فرنسوا

ولم يلبث الثوار ان اصدروا اوامر مشدّدة للقبض على جميع الذين يرفضون حلف اليمين ووضعوهم تحت الحفظ في الاديرة والكنائس فكان سان فيرمان حيث

كان الطوباوي فرنسوا رئيساً وملجأً لكثيرين من هؤلاء . وكان بينهم الاسقف والكاهن والعالم والخطيب من جميع الدرجات والطبقات حتى بلغ عددهم ٩٣ سجيناً وكان الاب فرنسوا يشجعهم ويعزيهم ويقضي حاجاتهم ويرشدهم ويسمع اعترافاتهم . وهو نفسه اغتنم هذه الفرصة فاختلى للرياضة الروحية واعترف اعترافاً عاماً واستعد لكل حادث يطرأ بطمأنينة ورباط جأش بل بفرح مقدس

وفي ٢ ايلول ذاع خبر في كل الانحاء بان المذابح تبتدئ قريباً ليتخلص الوطن من الخونة الى غير ذلك من الاشاعات المُرجفة . ولما دقت ساعات العاصمة الساعتين قُرعت اجراس الحزن وضُربت طبول الجنود فرأت مدينة باريس مشاهد فظائع وفواحش سوداء في تاريخ الانسانية . فهجم الثوار ورجالهم كالذئاب الكاسرة من رجال ونساء وشبان وشابات وفتكوا بابناء الله الأمناء نحو ربهم ودينهم وكنيستهم فذبحوهم ذبح الشاة بعد ان اذاقوهم العذابات اشكالاً والواناً من اجل ايمانهم وثباتهم في دين المسيح الحق . امّا الاب فرنسوا فكان قد التجأ الى القاعة العليا من الدير فرموه من فوق الى الطريق فتحطمت عظامه وأتت نساء وبدأن يضربنه بدبابيس حديدية ضخمة حتى تطايرت لحماته فطارت روحه الطاهرة الى الاخدار العلوية حاملة سعفة الانتصار بعد جهاد الابطال وثبات لم يتزعزع في ايمان المسيح . فكان الذين نالوا حظّ الطوباوي فرنسوا في ديرنا سان فيرمان سبعة وسبعين شهيداً . اما الباقون وعددهم ستة عشر فتمكنوا من الفرار ولكنهم ظلوا ثابتين على عزمهم الصالح

﴿ ٢ً الطوباوي حنا ماري غرويار ﴾

الشهيد اللعازري

ولد الطوباوي ماري غرويار في دول (Dôle) في ١٣ حزيران سنة ١٧٣٤ وتربّى على التقوى والفضيلة وممارسة الاعمال الصالحة . ولمّا اقتبل سرّ درجة الكهنوت المقدسة عيّنه اسقفه خادماً لرعية بلدته . لكنه لم يلبث ان طلب الدخول في جمعية اللعازريين فقُبل في عداد المبتدئين في ٢٣ كانون الثاني ١٧٧١ وكان عمره اذ ذاك سبعاً وثلاثين سنة . وابرز النذور في ديرنا في انجار (Angers) في ٢٤ كانون الثاني سنة

١٧٧٣ . وكان متّقداً بغيرة رسولية على النفوس : يقضي الساعات الطوال في منبر الاعتراف لارشاد النفوس ويزور المرضى والفقراء والمحبوسين ويعتني باليتامى والارامل وجميع المعوزين شأن ابناء القديس منصور دي بول . وكان لا يملّ من الصلوات والتأملات ممارساً الاماتات والتقشفات تابعاً قول السيد له المجد القائل : « من اراد ان يخلّص نفسه يهلكها ومن اهلك نفسه من اجلي يجدها : متى ١٦ : ٢٥ » وكان الله قد ميّزه بموهبة تحريك القلوب . لذلك كانت الناس تحبّ استماع مواعظه والاعتراف بين يديه آتين احياناً من امكنة بعيدة لهذه الغاية حتى شُبّه بابيه القديس منصور بمحبته للقريب وغيرته وتواضعه وسموّ فضيلته

وفي السنة عينها ارسلهُ رؤساؤه الى ديرنا في فرسايل ليساعد رئيسه في خدمة الرعية فظهر راعياً غيوراً اميناً ساهراً على خير رعيته الروحي وتقدّمهم في السيرة المسيحية . فأحبه ابناؤه الروحيون وكانوا يستشيرونه في جميع امورهم وينقادون بنصائحه وارشاداته . غير ان الرؤساء رأوا في سنة ١٧٨٩ ان ينقلوه الى رعية القديس لويس في باريس وبقي فيها واعظاً ومرشداً واباً حنوناً محبًّا ومحبوباً الى ايام الثورة

ولمّا عيّن الثوّار خورياً لرعية القديس لويس مكان المرسلين اللعازريين الذين ابوا ان يحلفوا اليمين وجاء ليستلم مهامّ وظيفته الجديدة استقبله اللعازريون بوجه بارد فأهابهم وابدى استياءه من تصرّفهم فاجابه الطوباوي غروبار : « الحقُّ معك باهانتنا فان جميتنا تحافظ كل المحافظة على اوامر البابا والاساقفة فلهم ان يأمروا وعلينا ان نطيع لانهم مرشدو نفوسنا واباؤنا في الايمان . ان تعاليمهم دائماً تكون تعاليمنا وارادتهم قاعدة لسلوكنا . »

وبينما كان عدد الخاضعين للدستور المدني يكبر ويزداد كان رجال دير رعية القديس لويس ثابتين كالجبال لا يتزعزعون عن خطتهم حسب روح ابيهم القديس منصور دي بول وتعاليمه وتدابير رؤسائهم . فاضطروا الى الخروج من ديرهم وترك رعيتهم مرغومين . فتفطّر قلب الطوباوي غروبار عند ترك ابنائه الروحيين وتشتّت شمل الاباء اللعازريين . فالتجأ هو الى دير سان فيرمان حيث كان اخوه الطوباوي فرنسوا رئيساً ظاناً انه يلقى الراحة وينتظر ايام سلام وسكينة حتى يرجع الى رعيته المحبوبة . ولكنه لم يدرِ ان الله كان قد هيأ له اكليل الشهادة مع اخيه الاب

فرنسوا القديس . لذلك لما هجم الثوار على الدير المذكور وفتكوا بسكانه السبعة والسبعين شهيداً كما ذكرنا كان الطوباوي غرويار في مقدمة الجميع مظهراً بسالة غريبة وحبا حارًا ليسوع المسيح فضُرب عنقه وقطعت اعضاؤه وهو يقول : «ربي اغفر لهم . . ربي اقبلني في مساكنك العلوية حيث امتلكك انت الخير الاعظم» وهكذا تمت هذه المذبحة الهائلة في دير القديس فيرمان الذي نحن نجلُّهُ لانهُ كان قديماً مدرسة دي بون زانفان (Collège des Bons Enfants) التي كانت مهد جمعيتنا ومسكناً لابينا ومؤسسنا القديس منصور دي بول . فاصبحنا اليوم نجلُّهُ ونكرمه اضعافاً ونحبُّهُ بزيادة لانه تقدَّس بدماء هؤلاء الشهدا الجدد الذين اعلنت الكنيسة المقدَّسة انهم طوباويون بحفلة في غاية الابهة والكمال . رزقنا الله شفاعتهم وحفظنا ببركتهم في ايامنا التويم

لم تصلنا تفاصيل شهيد ثالث من جمعيتنا قُتل ايضاً في هذه المذبحة وان شاء الله نذكرها عند سنوح الفرصة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ ابن القلاعي

﴿خلاصة اخباره﴾ هو جبرائيل بن بطرس الماروني الشهير بابن القلاعي ولد في لبنان في اواسط القرن الخامس عشر وتاقت نفسهُ الى العلم منذ نعومة اظفاره لكنَّ حالة لبنان في ذلك العهد لم تسمح لهُ بغير معرفة مبادئ القراءة والكتابة . ثمَّ زهد في الدنيا بعد ان اختبر قلَّة هنائها . واتَّصل بالمرسل الفرنسيسي رسول لبنان فرانسيس